



**- تعلم اللغات الأجنبية في المراحل العمرية المبكرة - في عصر العولمة -
وآثارها على تعلم اللغة العربية، وعلى التنشئة اللغوية للفرد
Foreign Linguistics In The Early Stages Of The
Globalization Era And Its Effects On Learning Arabic And
On The Individualization Of Language.**

طارق ثابت

كلية اللغة والأدب العربي والفنون - جامعة باتنة

thabettarek@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-08-16

تاريخ الاستلام: 2018-05-18

ملخص -

سوف تبحث هذه المداخلة في تعلم اللغات الأجنبية في المراحل العمرية المبكرة وآثار ذلك على تعلم اللغة العربية، وعلى التنشئة الثقافية واللغوية للفرد، مع بيان بعض الحلول لذلك؛ لأن الإشكالية المطروحة هنا هي في كيفية تدخّل اللغة والثقافة في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد باعتبارهما ضابطين أو قانونين يأتيان لتأطير الفرد ومنحه في المقابل هوية تُدرّكُ بعبارات التماهي مع الوسط الذي يقبل هذا الفرد لغته واستعمالاتها؛ وإشكالية اللغة العربية التي تعيش في الوقت الراهن تدهورا على مستويات كثيرة، لا سيما في ظل المتغيرات الدولية الجديدة أو ما أُصطلح على تسميته "بعصر العولمة" الذي باتت فيه هويات الشعوب الثقافية، لا سيما الهوية اللغوية مهددة بالتراجع إن لم نقل بالزوال والاندثار، وقد توصلت المداخلة إلى بعض الحلول والتوصيات لذلك.

الكلمات المفتاحية -

اللغات الأجنبية، العولمة، اللغة العربية، التنشئة اللغوية.

Abstract-

Cette Intervention Examinera L'apprentissage Des Langues Etrangères A Ses Débuts Et Ses Conséquences Sur L'apprentissage De La Langue Arabe Et Sur L'éducation Culturelle Et Linguistique De L'individu, Avec Quelques Solutions, Car Le Problème Est Ici De Savoir Comment Interférer Avec La Langue Et La Culture Dans Le Processus De Socialisation De L'individu A L'avenir. Le Problème De La Langue Arabe, Qui Se Dégrade Actuellement A Plusieurs Niveaux, Notamment A La Lumière Des Nouvelles Variables Internationales Ou De Ce Que L'on Appelle "L'ère De La Mondialisation « Qui Est Devenue L'identité Culturelle Des Peuples, En Particulier L'identité Linguistique Est Menacée De Se Retirer Sinon L'extinction Et L'extinction, A Atteint Une Intervention A Des Solutions Et Des Recommandations Pour Cela

Mots-Clés-

Langues Etrangères, La Mondialisation, La Langue Arabe, L'éducation Linguistique.

1- مقدمة: إن اللغة هي قوام الأمة، وقوام كيانها التاريخي والثقافي والحضاري، فهي العنصر الأساسي في التكوين القومي للشعوب؛ إذ ليست اللغة أداة للتخاطب فحسب، بل وعاء يحمل في طياته الفكر نفسه، ولغة كل أمة هو لسان حالها الذي يعبر عن آلامها وآمالها، وبواسطتها تحفظ تراثها الفكري والثقافي والعلمي والحضاري، كي ينقل من جيل إلى آخر؛ حيث تقاس حضارة أمة من الأمم بكم التراث العلمي والفني والأخلاقي المدون بلغتها، كما تضطلع اللغة بدور رئيس في عمليتي التنمية الحضارية والتبادل الثقافي لا لكونها أداة تواصل واتصال نعبر بها عن المفاهيم والأفكار والتصورات والقيم، ونحفظ بها التراث الفكري والثقافي والعلمي فحسب؛ بل بوصفها أحد العناصر الجوهرية من العناصر المكونة للثقافة والفكر تتجاوز أهميتها من التعبير والحفظ إلى التغيير أيضا، ولا تقل أهمية اللغة في الدراسات التاريخية أيضا فهي مفتاح

معرفة الحوادث والوقائع والانجازات المدونة في الوثائق؛ حيث تعتبر اللغة الوسيلة التي اعتمدها الإنسان في تدوين الأخبار والانجازات المختلفة، فالوثائق التي تعتبر الركيزة الأساسية في المعرفة التاريخية، سواء كانت هذه الوثائق مدونة على الجدران أم على أوراق أم على ألواح أم على جلود حيوانات وغيرها، تعتمد في أغلب الحالات بما تحتويه من معلومات وصور ومخططات وأشكال على اللغة وكيفية استعمالها في التعبير عن الحوادث والحالات، فتحفظ المندثر وتدعم الباقي بالشاهد اللغوي.

2- اكتساب اللغة الأجنبية والتعدد اللغوي: يتعلق اكتساب اللغة الثانية بدراسة الطريقة التي يصبح فيها الفرد قادراً على تعلّم لغةٍ أو أكثر، غير لغته الأولى، قد يبدأ من الطفولة أو بعد سنّ البلوغ، والفرد الماهر في تعلّم لغتين ويستطيع أن يتحدث بسجيةٍ وتلقائيةٍ يمكن اعتباره ثنائي اللغة (Bilingual)، وقد حظي تعليم اللغة باهتمام كبير من اللغويين وعلماء الاجتماع وعلماء التربية وعلماء النفس، وكان من نتيجة هذا الاهتمام أن تطوّر وتبلور شيئاً فشيئاً حتى أصبح علماء قائماً بذاته، له مصادره كما أنّ له مجالاته، وأطلق على هذا العلم الجديد الذي شهد النور في منتصف القرن الماضي علم اللغة التطبيقيّ Applied Linguistics وتناول هذا العلم في بداية ظهوره مجالات عدة: من مثل تعلّم اللغة الأولى وتعليمها، تعليم اللغة الأجنبية، التعدّد اللغوي، التخطيط اللغوي، علم اللغة الاجتماعيّ.

إن الحياة المعاصرة تفرض على الفرد أن يكون متشعباً بأكثر من لغة واحدة حتى يتمكن من التفتح على العالم وثقافته وتكنولوجياته؛ فنجد أن معظم دول العالم قد أدرجت ولو لغة ثانية إما في المرحلة المتوسطة (الإعدادية) أو خلال المرحلة الابتدائية كما هو الحال بالنسبة للجزائر؛ نظراً للاعتقاد السائد حول أهميتها في وقت مبكر كما جاء به: "précoce bilinguisme بنفيلد"، حيث

أشار¹ إلى إمكانية شروع الطفل في تعلم لغة ثانية منذ سن الحضانه، وأكد "بنفيلد" رأيه مشيراً إلى مرونة أعصاب الدماغ أثناء هذه السن، وأضاف بأن التدريب المبكر على أصوات هذه اللغة يساعد أعضاء الصوت على التكيف معها وبالتالي تضادي الوقوع في مشكلات قد تخلقها الازدواجية فيما بعد، فنموه الذهني يكون في نفس الوقت بنفس إيقاع سير نمو اللغوي في كلتا اللغتين اللتين يمتلك، ويمكن أن يعرف التعدد اللغوي بنفس التعريف الذي عرف به "مارتيني"² الازدواجية اللغوية والتي تتمثل في كون مزدوج اللغة يمارس استعمال لغتين وطنيتين بنفس الكفاءة، وإن كل لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به (أي أنه يملك أداتين للتفكير ونظاميين ثقافيين).

أما "تيتون"³ فيرى أنها القدرة على التعبير بلغة ثانية مع احترام المفاهيم والبنى الخاصة بها، دون اللجوء إلى ترجمة باللغة الأم، ويمكن أن نبرز أسباب ذلك كالتالي:

أ - الأسباب السياسية: للعامل السياسي أهمية كبرى في ظهور الثنائية اللغوية وتفشيها، كالهجرة الجماعية لأسباب سياسية، أو اقتصادية، أو دينية هروباً من الاضطهاد السياسي، أو العرقي، أو الديني، وحتى هروباً من الفقر والأمراض بحثاً عن السلامة والأمن، فينشأ عن هذه الهجرات احتكاك قوي، إما أن تتعلم الجماعة لغة البلد المضيف أو العكس.

كذلك يسهم الغزو العسكري في نشوء الثنائية اللغوية، إذ أن طول مدة الاحتلال وشعور أفراد الدولة بأهمية اللغة الغازية ومنفعتيها، وتفاعلهم معها، يعطي اللغة الغازية دفعة للاستمرار والبقاء والانتشار.

¹ winkin (yves) : vers une anthropologie de la communication, p.22 science humaines N° 4

² مقال لـ عمار تعوينات بعنوان "الازدواجية اللغوية والثقافية في الجزائر" منشور بموقع

الكاتب

<http://taouinet.maktoobblog.com/55/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B2%D8%AF>

³ المرجع السابق.

ب - الأسباب الاقتصادية: تسهم العوامل الاقتصادية في نشوء الثنائية اللغوية وتمييزها، وذلك أن الانتصار الذي تناله إحدى اللغتين يكون في ميدان المعاملة، يعني في صميم الحياة نفسها، كذلك تستدعي حركات التصنيع في كثير من البلدان استخدام عمال ذوي جنسيات مختلفة ما يؤدي إلى نشوء ثنائية.⁴

ج - الأسباب الاجتماعية: بدورها الأسباب الاجتماعية تتسبب في ظاهرة الثنائية اللغوية، فالإيونانية مثلا كانت تمثل ثقافة من أعرق ثقافات البشرية، ولذلك لم تستطع اللاتينية التغلب عليها، كذلك من العوامل المسهمة والمؤثرة عامل الزواج، فالزواج بين أصحاب جنسيات مختلفة يولد جيلا من الأطفال ثنائيي اللغة، بحيث يحمل الطفل لغة الأم والأب معاً، فالأم تصر على تعليمه لغتها والأب أيضاً، وهذا ما يحدث حين يفكر الشاب بالهجرة إلى الدول الغربية بقصد التعليم، والعمل فيكون الزواج من الأجنيات⁵، كما أن المستوى الاجتماعي يعمل في الثنائية، فتكتسي الثنائية حلة المكانة الاجتماعية [البرستييج].⁶

د - الأسباب النفسية: تبرز الأسباب النفسية في فقدان الثقة بالنفس، وباللغة الأم وتلك حال بعض الطلبة الذين يشعرون بالاعتزاز باستخدامهم لألفاظ أجنبية فضعف الدول العربية مثلا ولد في نفوس أهلها الشعور بالتخلف عند التحدث بلغتهم الأم، فيرغب هؤلاء في تقليد الغرب القوي والمتحضر والمتفوق.⁷

ج - الأسباب التربوية: للتعليم دور في انتشار الثنائية فحين يكون التدريس في كافة مراحلها باللغة الأم تنهض اللغة، وتتطور، وتنحصر اللغات الأجنبية، ولكن المشهد التعليمي الجامعي في البلاد العربية يتناقض مع هذه الوجهة، إذ أن كثيرا من التخصصات تدرس بلغات أجنبية، لاسيما التخصصات العلمية إذ

⁴ عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان، 2007، ص 103.

⁵ عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، ص 105.

⁶ يعني ذلك اكتساب لغة ثانية رفيعة تساعد على تقمص منزلة اجتماعية رفيعة.

⁷ عناني وليد وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، ص 105.

تدرّس باللغة الفرنسية أو الإنجليزية مما يجبر الطالب على الثنائية، وذلك في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي، بالإضافة إلى أنّ هناك مصطلحات لا مقابل لها مما يفرض عليه استخدام المصطلح باللغة الأجنبية دون محاولة تعريبه، إضافة إلى أنّ بعض الأسباب تتعلق بالإعلام وما يلحظ فيه من خروج في كثير من الأحيان عن اللغة الأمّ في محاولة لترويج إعلان أفضل وأرقى يجذب الانتباه. □

أما أشكال التعدد اللغوي فهي ثلاث أنواع: □

أ - الازدواجية اللغوية التكميلية (le bilinguisme additif): وفيها تُستخدم اللغة الأولى مثل اللغة الثانية وكل واحدة ذات مرجع ثقافي خاص بها؛ أي أن أصحاب هذا النوع لهم سجلين لغويين وثقافيين، ولا يوجد تداخل بينهما وتسمى أيضا بالازدواجية المتزنة وفيها يملك الفرد نظامين دلاليين منفصلين وكل واحد له ارتباطات خاصة به (بين الدال و المدلول)، أي نظامين من المفاهيم واحد لكل لغة، مما يسمح له بسهولة الاتصال مع أفراد اللغة الأولى وأفراد اللغة الثانية.

ب - الثنائية اللغوية (la diglossie): وهي التي يكون فيها تنافس لهجتين ذات وضع اجتماعي ثقافي متباين إحداهما معتبرة محليا ويعني شكلا لغويا مكتسبا أوليا، ومستخدما في الحياة اليومية، والثاني يمثل اللغة التي تستعمل في بعض الظروف ومفروضة من قبل الذين يمثلون السلطة، وتسمى أيضا من قبل اللغويين بالوضعية (سوسيو - لغوية) □□، ويمكن لهذه الثنائية اللغوية أن لا تمس إلا جزءاً فقط من مجموعة معنية، وتسمى أيضا بالازدواجية المركبة حيث يملك الفرد نظاما متّحدا أو مدموجا، فيسلك سلوك المتحدث الأصلي في أيّ

⁸ المرجع السابق، ص 107 بتصرف.

⁹ ينظر الدكتور عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي

والكتابي، دار هومة، الجزائر، ص 73.

¹⁰، نور الدين النيفر فلسفة اللغة واللسانيات، ط 1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر

والتوزيع، 1993، ص 167 بتصرف.

من اللغتين، نظرا لكون الوحدات الدلالية تمثل اتحادا لوحدات اللغتين، ولا يكون لديه سوى نظام واحد حيث الارتباطات تمثل خليط النظامين اللغويين وفي هذا النوع نجد الطفل يتذبذب بين إسناد المفاهيم إلى لغته الأصلية واللغة الثانية.

ج - الازدواجية اللغوية الناقصة أو شبه الازدواجية (le bilinguisme soustractif): وفي هذه الحالة نجد أن الثقافتين الأصلية والثانية تتدخلان دائما في استعمال سواء اللغة الأصلية والثانية دون وعي، وتوضح في عدم إتقان أي من النظامين اللغويين، ويطلق عليها أيضا الازدواجية غير المتزنة^{□□}؛ حيث يتكلم الفرد اللغة الأم ولكنه يرجع إلى لغته الأصلية فيما يخص الدلالة عند تحدّثه بلغة ثانية لأنه يستعين بها وينظامها اللغوية والدلالي فهو لا يملك إلا نظاما لغويا واحدا هو نظام لغته الأم، ولكن اللغة الأخرى تستعمل عادة بواسطة الترجمة، والمشكلة هنا تظهر عندما تكون هناك فكرة يمكن أن تُستحضر بلفظة واحدة في اللغة الأم، بينما تتطلب موازنة معنوية بواسطة عدة ألفاظ في اللغة الأخرى، أي يُترجم عناصر لغة إلى أخرى.

3 - التعليم المبكر للغات الأجنبية ومخاطره: من الطبيعي بالنسبة للغة الأجنبية أن يبدأ التعرض لها في المرحلة المتأخرة لا السليقة عند الطفل، وأن هذا هو وقت بداية ظهور الحاجة لها، وقد كان واقع اللغة الأجنبية في الوطن العربي من حيث سن بدء التعرض ومداه مرضيا عنه حتى وقت قريب، و لكن دخولنا في عصر العولمة والذي تغلب عليه الثقافة الغربية فرض على اللغويين والتربويين على حد سواء دراسة إمكانية تحسين وضع اللغة الأجنبية، وذلك لزيادة الحاجة إليها، فبدأوا يدرسون أسباب ضعف الطلاب فيها علّ الضعف ينتفي بانتفاء السبب، وبالرغم من أن هناك العديد من الأسباب المرشحة منطقيا لتفسير ضعف المستوى العام إلا أن السبب الرئيس الذي تركز عليه معظم البحوث في الآونة الأخيرة هو سن بدء التعرض للغة الأجنبية، وقد ظهرت مجموعة ليست بالقليلة من البحوث تُعلّق الضعف أساسا على تأخير بدء التعرض للأجنبية لما

¹¹ المرجع السابق، ص 168.

بعد المرحلة الابتدائية، وتدعو للتبكير بتعليم الأجنبية كعلاج ناجح لضعف طلابنا في هذه اللغة، وتتلخص حجج المعارضين للتبكير في أن فيه إضعافا للغة الأولى وتمييعا لثقافتها. وقد كان أول من نبه إلى الأثر السلبي لجمع علمين على المتعلم هو ابن خلدون حين قال "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معا ويستصعبان. ويعود منهما بالخيبة"¹²، وبالتالي نستطيع القول انه تبعا لابن خلدون فان الكفاءة في كلا اللغتين ستتأثر سلبا إن تعرض الطالب لهما في نفس المرحلة.

واليوم يؤمن الكثير من المتخصصين في الثنائية اللغوية¹³ بأن تعلم لغتين أو أكثر في سن الطفولة يؤثر سلبا على إتقان إحدى هذه اللغات، والحقيقة أن هناك عدد من الأبحاث العلمية العملية التي اهتمت بدراسة هذا الأثر السلبي للتبكير بتعليم اللغة الأجنبية، منها ما شمل جميع مهارات اللغة الأم ومنها ما اقتصر على هذه المهارة أو تلك، وقد خلص إلى أن التبكير في تعريض الطالب العربي للغة الإنجليزية أو الفرنسية يؤثر سلبا على مهارتي القراءة والكتابة في اللغة الأولى نظرا لاختلاف اتجاه مسار العين في العربية عنه في الأجنبية، فالأولى تتطلب تعويد الطالب عينه الاتجاه من اليمين إلى اليسار والثانية تتطلب قلب الاتجاه إلى الضد وهذا يسبب إعاقة لتطور الطالب في اللغتين، و بروز ظاهرة الخلط اللغوي، والتعميم عند طلاب الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية.

¹² - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإي، دار الشروق، مصر، ط4، ص535.

¹³Stavans, A. (1990). Code Switching in Children Acquiring English. University of Pittsburgh.

و يؤكد آخرون الأثر السلبي للغة الأجنبية على مهارة النطق أو التحدث، فقد تُأكد¹⁴ من وجود ظاهرة التداخل من الإنجليزية إلى العربية وخاصة على المستوى الصوتي حيث أكد 35% من المدرسين في الكويت أن نطق الطلبة بعد تطبيق نظام إدخال الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في عام 1993 أصبح أسوأ مما كان عليه قبل إدخال هذه المادة، ويمثل لهذه الظاهرة في تسمية الطلاب بعض الأصوات العربية بأسماء الأصوات الإنجليزية كتسمية الكاف (كاي) أو الميم (أم) وغيرها.

والحقيقة أن أثر اللغة الأجنبية السلبي على مهارة التحدث في اللغة الأولى لا يقتصر على لحن الطلاب في نطق الأصوات بل يتعداه لضعف عام في القدرة على التعبير تعبيراً كاملاً عن كفاءتهم التعليمية وتحصيلهم الدراسي، وإن أحد أسباب ضعف التحصيل اللغوي في اللغة الأولى يرجع لتعلم اللغة الأجنبية في بداية المرحلة الابتدائية.

إن بعض الباحثين يعتقدون بأن للتبكير تأثيراً غير مباشر يأتي من الموازنة بين العربية واللغات الأجنبية يقول نصرت عبد الرحمن "إن بعض الطلبة يوازنون بين العربية واللغات الأجنبية صعوبة ويسرا وترجح لهم صعوبة العربية في نحوها وصرفها ورسم حروفها وإملائها، فيخذلون زملاءهم عن العربية، وتنتقل الألفة إلى معلمي العربية، وواضعي المناهج، ومؤلفي الكتب المدرسية، يذهبون إلى التبشير بعد التبشير حتى باتت كتب العربية لا تعلم العربية¹⁵، ومن الآثار غير المباشرة أيضاً أن التبكير بإدخال الأجنبية يزيد احتمال التأخر الدراسي الذي يسبب النفور من العلم عموماً، ومن ثم يزيد احتمال التسرب الذي يحرم الطلاب من فرصة التعرض للفصحى كونها غير مستخدمة كلغة للتواصل في

¹⁴ طه أمين، دراسة متخصصة حول أثر الإنجليزية على اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ (8/10/1419هـ).

¹⁵ - نصرت عبد الرحمن، أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مرحلة التعليم العام، بحث مقدم لندوة أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مراحل التعليم، مجمع اللغة العربية، عمان. في الفترة 26/ آذار/ 1988م.

الحياة اليومية، ففي دراسة لأحد الباحثين¹⁶ قارن فيها أداء تلاميذ مدارس اللغات في مادة العلوم بأداء تلاميذ المدارس الرسمية بنفس المادة، وجد الباحث أن التلاميذ الذين درسوا العلوم باللغة الإنجليزية أي تلاميذ مدارس اللغات قد تأخروا دراسيا عن أقرانهم في المدارس الرسمية الذين درسوا العلوم باللغة العربية. فضلا عن أن تلاميذ مدارس اللغات يستثقلون المادة و ينفرون منها.

إن أكثر ما يستشهد به المعارضون للتبكير في إثبات ضرره كون الأجنبية تُفرض في جميع المراحل غداة كل استعمار وذلك لتغيير اتجاهات الشعوب وتسهيل تبعيتهم، والأجانب أنفسهم لا ينكرون هذا بل يؤكدونه في كتبهم، فقد ذكر (Carny)¹⁷ أن تعليم اللغات الأجنبية يمكن أن يكون أداة للاستعمار الثقافي وغالبا ما تتبناه الدول التي لا تزال لديها نوايا استعمارية.

إن نظرة الانبهار بالأجنبية مجتمعة مع النظرة الدونية للعربية تعوق نمو الطفل الفكري وتقلل من احترامه لنفسه ولثقافته خاصة، و"أنها تضعف الانتماء إلى الثقافة الأصلية. فغالبا ما يرى الطفل نفسه منتميا إلى ثقافة اللغة الأقوى اجتماعيا"¹⁸، فاللغة ليست مجرد كلمات وعبارات و تراكيب نحوية، وإنما هناك مضمونها الذي يحمل ثقافة أهلها وأفكارهم وقيمهم، والتي سوف تمثل المكان الأرفع في تشكيل وجدان المتعلم.

لقد استطاعت اللغات الأجنبية النيل من أجيالنا المعاصرة وبخاصة ما يحدث من مخطط مدرّوس لهدم هويتنا الثقافية من خلال تهميش اللغة العربية والاهتمام باللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية بشكل خاص، وفي دول الخليج أصبحت الإنجليزية هي اللغة الأولى السائدة في التعليم من خلال

¹⁶ يسري عيفي، تأثير تدريس العلوم باللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية على تحصيل التلاميذ واتجاهاتهم في مادة العلوم، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، ع 6، ص 125.

¹⁷ Carny, M. Education as Cultural Imperialism. NY: David Mackay Company Inc. 1974.

¹⁸ حمد الرشيد، تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية الإيجابيات والسلبيات (دراسة استطلاعية)، رسالة الخليج العربي، ع 68، ص 19، ص 79.

المدارس والكليات والجامعات والمؤسسات والقطاعات الأخرى، وقد دلت البحوث التربوية على أن استعمال لغة أجنبية في التعليم مسؤول إلى حد كبير عن الهدر في الموارد خاصة في الدول الفقيرة، وأيضاً عن الارتباك والإحباط وارتفاع نسب التسرب بين الطلاب الذين يجدون أنفسهم في وضع لا يمكنهم من معرفة ما يدرس باللغة الأجنبية بسبب عدم معرفتهم الكافية لهذه اللغة^{□□}. ويبدو أن استعمال اللغات الأوروبية في التعليم في البلدان النامية مرتبط إلى حد كبير بقرارات سياسية لا علاقة لها بالاعتبارات التربوية الصحيحة. ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في الأقطار الإفريقية في جنوب الصحراء التي وجدت أن استعمال اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية في التعليم يعيق عملية الاندماج الاجتماعي بين فئات الطلبة في الصف الواحد. وتدل الدراسة التي قام بها K.Heugh على أن 75% من أطفال المدارس في جمهورية جنوب إفريقيا لا يستطيعون إنهاء المدرسة بنجاح بسبب العائق اللغوي المتمثل باستخدام اللغة الإنجليزية كلفة تدريس، ولهذا السبب بالذات تمت الموافقة لسكان الأصليين المعروفين بالأفريكانوس Africanos بأن يتعلموا بلغتهم الأصلية بدلاً من اللغة الإنجليزية[□].

إن استخدام اللغة الأجنبية في تدريس العلوم الأساسية والهندسية والطبية وتكنولوجيا المعلومات يوجد شعوراً بالاستغراب وحتى الدونية عند الطالب العربي الذي يجد أن اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية هما لغات العلوم الحديثة، في حين تستعمل اللغة العربية في تدريس مواد أقل أهمية.

إن من المسلمات التربوية التي أبانها البحث التربوي وأثبتتها التجربة العملية أن الطالب يستوعب الموضوع الذي يدرسه بلغته بشكل يروق استيعابه له إذا ما تعلمه بلغة غير لغته، ويلعب التعليم باللغة الأم دوراً حاسماً في تحقيق نوعية

¹⁹ David Marsh , " English as a Medium of Instruction in the New Linguistic_Order: Global Characteristics ,Local Consequences", 2006, p.30

²⁰ K.Heugh , The Case against Bilingual Education and Multilingual Education in South Africa , (Cape Town : praesa , 2000).

التعليم وجودته، كما أنه يساعد على توطين العلوم وترسيخ طرائقها وتطور منهجية البحث العلمي فيها في وجدان المتعلمين وإدراكهم.

إن تعلم لغة أجنبية وإجادتها ضرورة في عصرنا ولكن هذا لا ينبغي أن يتم على حساب اللغة القومية التي يجب أن تدرس بها غالبية المقررات الجامعية في مجال الإنسانيات، وما لا يقل عن ثلث المقررات في المجالات الأخرى، إن تدريس غالبية المقررات الجامعية باللغة الإنجليزية يقطع صلة الطالب بلغته العربية ويفقده ما اكتسبه خلال مرحلة ما قبل الجامعة .

6 - خاتمة: إن ما يهددنا في عصر العولمة هو تهديد لجميع أركان الهوية: (الدين ، اللغة ، الثقافة ، الجوانب الاجتماعية ...)، وهذه الخطورة بعواملها المختلفة المتعددة قد تكون مفروضة لا خيار لنا فيها، وبعضها قد تكون بأيدينا، كما هو الحال في التعليم باللغة الأجنبية إذ هو أحد الأبواب التي تؤثر في الهوية ؛ فعن طريقه تتسرب إلى عقلية العربي الجوانب الثقافية والاجتماعية وغيرهما الأجنبية من خلال العناية بمحتوى اللغة الأجنبية - وبالذات في ظل الانهزامية التي يعيشها كثير من أفراد الأمة بسبب عوامل كثيرة، منها : النظرة العالية إلى الثقافة الأجنبية في مقابل النظرة الدونية للعربية وتراثها بل وأهلها - فتظهر بوادر التقمص بالشخصية الأجنبية (لغة وسلوكاً ومظهراً)، فمن المؤسف مثلاً استعمال اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) في التدريس في الكليات العلمية والطبية، وفي الأخير يمكن أن نقول أن الفرد لا يعي هويته الثقافية واللغوية إلا انطلاقاً من تعرفه على لغته وتنميتها والمحافظة على أصالتها قومياً وإنسانياً، باعتبارها مصدر إبداع وعطاء وتفاعل مع مختلف الثقافات العالمية .

مصادر ومراجع البحث

أولا - الكتب:

- 1 - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإيفي، دار الشروق، مصر، ط4، د.ت.
- 2 - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة 212، الكويت، آب 1996 .
- 3 - أنيس فريحه، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار، بيروت، لبنان، 1980م.
- 4 - عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر.
- 5 - عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ط3، 1980، مؤسسة الرسالة بيروت.
- 6 - عناني وليد وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان، 2007.
- 7 - محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- 8 - نور الدين النيضر، فلسفة اللغة واللسانيات، ط1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، 1993.

ثانيا - المراجع الأجنبية:

- 1-Carny, M. Education as Cultural Imperialism. NY: David Mackay Company Inc. 1974.
- 2-David Marsh , " English as a Medium of Instruction in the New Linguistic Order: Global Characteristics ,Local Consequences", 2006.
- 3-K.Heugh , The Case against Bilingual Education and Multilingual Education in South Africa , (Cape Town : praesa , 2000).
- 4- Stavans, A. (1990). Code Switching in Children Acquiring English. University of Pittsburgh.
- 5- winkin (yves) : vers une anthropologie de la communication, science humaines N° 4.

ثالثا - المجلات والصحف :

- 1 - التركي الحمد، مقال: "هوية بلاهوية - نحن والعولة"، ورقة مقدمة لمؤتمر القاهرة، مصر، 1998، بعنوان العولة وقضايا الهوية الثقافية صحيفة "المدينة" السعودية، ملحق (الأربعاء)، في 15 أفريل 1998م.
- 2 - تيسير الكتابة بالعربية، مجمع اللغة العربية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، 1958م.
- 3 - حمد الرشيد، مقال: "تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية الإيجابيات والسلبيات (دراسة استطلاعية)"، رسالة الخليج العربي، ع 68، س 19.

- 4 - خافير دي كويلار، مقال: "التنوع الإنسان المبدع"، تقرير اللجنة المعنية بالثقافة العالمية والتنمية، منشورات اليونسكو، الطبعة العربية القاهرة، مصر، مركز مطبوعات اليونسكو، سنة 1996م.
- 5 - الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الثقافة، ط.2
- 6 - سعيد بنكراد، مقال: "استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة"، مجلة علامات ع 21 س. 2004.
- 7 - طه أمين، مقال: "دراسة متخصصة حول أثر الإنجليزية على اللغة العربية في المرحلة الابتدائية"، جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ (8/10/1419هـ).
- 8 - عبد العزيز العاشوري، مقال: "اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب"، مجلة "المستقبل العربي السنة (4)، عدد (27)، ماي 1981م.
- 9 - نصرت عبد الرحمن، مقال: "أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مرحلة التعليم العام"، بحث مقدم لندوة أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مراحل التعليم، مجمع اللغة العربية، عمان. في الفترة 26/ آذار / 1988م.
- 10 - يسري عضيبي، مقال: "تأثير تدريس العلوم باللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية على تحصيل التلاميذ واتجاهاتهم في مادة العلوم"، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، الكويت ع 6.

رابعا - المواقع الالكترونية:

- 1 - مقال لعمر كوش بعنوان: "التواصل وفلسفة العمل التواصلي"، في موقع مجلة الرأي بتاريخ 2009/12/08 <http://www.araee.net/culture/9842.txt>
- 2 - مقال لعمار تعوينات بعنوان "الازدواجية اللغوية والثقافية في الجزائر" منشور بموقع الكاتب <http://taouinet.maktoobblog.com/55/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B2%D8%AF%>